Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا قال كثير عزة يمدح عبد الملك بن مروان :

إذا همّ بالأعداء لم يثن همه حصانٌ عليها عقد دُرّ يزينها

وقال أبو تمام يمدح المعتصم :

عداك قرُّ الثغور المستضامة عن بَرْد الثغور عن سلسالها الحصب

كان هذا البيت مأخوذاً من سابقه وإن وشحه أبو تمام بالبديع(٣٠) .

ولأن النقاد صدروا عن وعى نقدى متشبث بالتقاليد أولا ، وعن غير ثقة بتطور المعانى ثانياً ، وبكسل فى الملكات النقدية ثالثاً ، فقد صادروا للشعراء المحدثين إبداعات قرائحهم ، فنتج عن ذلك ما يسمى بالأزمة المتضخمة ونعنى بها إحساسهم بنضوب المعانى ومن ثم التمسوا عذرا وهميا لشعراء لا يعرفون إلا بالإبداع الحقيقى يقول ابن طباطبا : « والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة ، فإن أتوا بما يقتصر عن معانى أولئك ، ولا يرى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملوك »(٣١) . وعلى هذا اشتد دفاع عبد العزيز الجرجانى عن اتهام المحدثين بسرقة معانى القدماء . قال : « ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذى بعدنا ، أقرب فيه إلى المعذرة ، وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا واستغرق المعانى وسبق إليها وأتى على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا ، إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعد مطلبها ، واعتياص مرامها ، وتعذر الوصول إليها . ومتى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه مبتدعاً ، ونظم بيت يحسبه مخترعاً ، ثم تفصح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثلاً يغض من حسنه »(٣٢) . وعلى غير هذا المنحى ذكر فى « المثل السائر » أن ابن الأثير قرأ فى كتاب « مقدمة بن أفلح البغدادى » : « أما المعانى المبتدعة فليس للعرب منها شىء ، وإنما اختص بها المحدثون »(٣٣) وقد ردّ عليه ابن الأثير هذا التجنى .

(٣٠) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٧٢ .
(٣١) عيار الشعر ص ٢٢ .
(٣٢) الوساطة ص ٢١٤ ــ ص ٢١٥ .
(٣٣) المثل السائر ٢ /٦٢ .